

# على لسان اللغة العربية

## رهن بقوة العرب في الحقل الدقيق

### الازل والجاهية إغاثة دعيم للتوازي العلوي

الأستاذ فؤاد الشايب

(دمشق)

كيف دانت لغتنا العربية شعوب الروم والفرس ، نكتب محولهم بالعربية وخدعوا بها في تاريخ الفكر العربي في ظلال مجد الدولة وقوة السلطان واليوم لا يخفى على احد كيف انتشرت الفرنسيّة والإنكليزية بين الملايين في افريقيا وأسيا ، واللغة الروسيّة بين الملايين في اوريا الوسطى والشرقية .  
وعندما تكون اللغة العربية لغة الدولة العربية الكبرى ذات مئة المليون – نستطيع ان نتصور الكثير والقليل عن مدى ازدهار اللغة وراء سيادة الدولة – عالميتها .

#### ثالثاً – المستوى الثقافي :

تؤلف قضية المستوى الثانوي مجتمعنا العربي ، مشكلة أساسية ، اقل القول فيها انها هي التي تقرر مسيرة اللغة ، ومصيرها مما فالمجتمعات تتضاعل فيها الحاجة الى لغة غنية معاصرة لحاجات الانسان ، وينحدر فيها الانتاج الفكري الى مستوى التفاهات ، ويساوم عليه مع خبيث البضائع ، وفي هذه المجتمعات لا كرامة لمنكر ، ولا رزق ايضا ، وتتعدم الحاجة الى اللغة ، بتعدام الحافز الى التقدم ، وال الحاجة الى المعاصرة باللغة القابعة في عقر دارها ، هي قرينة الفكر انضممر في اطماره ، وطبعي ان اللغة التي لا تيارح دائرتها الصغيرة ، لا تستطيع ان تخطو في العالم الخارجي ، خطوات كثيرة او قليلة .

ان معضلة اللغة في هذه المجتمعات لا يمكن ان تطرح منفصلة عن مادتها الفذائية ، فاللغة لسان الحياة وال الحاجة ورباط بينها معا ، فما زالت كانت

تعترض سير اللغة العربية ، وتهدى من انتشارها ثلاثة حوايل ، يؤلف كل منها قضية قائمة بذاتها ، ومتراقبا بعضها ببعض ، في الوقت نفسه .

#### أولاً – الحرف العربي :

ان رسم الحرف العربي وان يكن يؤلف حالا جديا ، دون بلوغ اللغة العربية مستوياتها العالمية ، وجمahirها الواسعة ، فان قضيته ليست بالمعضلة التي يمكن ان تجد لها حلولا سريعة تافية كأن نعدل عن الحرف العربي ، الى الحرف اللاتيني ، كما فعلت (تركية اتاتورك) ، او كما يقترح بعض المتحذلقية العرب ، من يظنون انهم قد وجدوا الثغرة من جانب الحرف ، للعبث بالتراث العربي ، بدءا من الالف حتى الياء وللترك ولسوامهم ان (يلقتو) حروفهم فهم ليسوا شيئا من تراثنا .

وقد كتب كثيرون في استحالة (لتلدين) الحرف العربي من جهة ، وعدم جدواه من جهة ثانية ، بقطع النظر عن القضية القومية بالذات ، ولم يست انسي هنا ان اكرر ما قبل وحسبى القول ان الدعوة الى اللاتينية ، هي تزوير لطرح القضية ، وقد باذ الدعوة ، كما باذ سواها من الدعوات الشعوبية والاستعمارية المعادية لحقيقة الوجود العربي .

#### ثانياً – سلطان الدولة :

ان القيمة السياسية لسلطان الدولة ، قضية قومية عربية تعكس ظلالها على واقعنا الثانوي ، ومنذ اقدم الايام ، اقترن امجاد اللغات بامجاد دولها وانطفات لغات ولهجات بانطفاء الجماعات التي قامت عليها ونظمت بها ، ونحن ادرى الاقوام

العلمي الجامعي ، ويجب أن تستمر العناية بها لتصبح أكثر ملائماً في المستقبل .

والثانية أن لا غنى للمتعلمين وطالبي المزيد من العلم ، عن التشق بلغة عالمية أساسية يتبعون بها ثقافتهم التي تؤهلهم لمعاصرة كل مستطرف مستحدث ، وليس ذلك من أجل إغفاء ثقافتهم مسلكياً وفكرياً نحسب ، بل من أجل دفع اللغة العربية عن طريق أهلها من العلماء ، لتسير أبداً على الخط الموازي للتقدم العلمي في العالم .

ففي مدى الحقيقة الأولى أؤكد أن اللغة العربية التي استوّعت في عصرها الذهبي علوم الأولين والآخرين ، غير عاجزة عن مثل هذا في عصرنا الراهن ، ما استطاع أهلها إلى ذلك سبيلاً ، ولا ضير عليها من الانتتاح الكبير ولا خطر ، الا من طرفى التحقيق ، والتزمت على السواء .

وان هي صلت الآن ، للتدريس العلمي ، واستيعاب العلوم الإنسانية المختلفة ، فيجب أن يستمر هذا الصلاح بمجهود عربي مشترك تنهض له مؤسسات علمية وعلماء وادباء ورجال تترنّج واختصاص ، وفي مواضيع العلوم المادية الأكثر امتناعاً على اللغة كعلوم الطب والهندسة ، والكيمياء وسواها .

فلا يكفي أن تكون كلية الطب في دمشق - مثلاً - قد عبدت إلى تدريس الطب بالعربية منذ أربعين عاماً . اذ يجب أن تتقاهم الجامعات العربية بينما كانت وتعاونت فيما بينها على تنفيذ منهج مقرر في تدريس العلوم ، بلغة علمية لا تترك مصطلحاتها لاختيار الأذواق الخاصة والاقاليم المحلية ، والجهودات الفردية ، بل أن تنهض لها مؤسسة عربية كبيرة ، تشرف على تنظيم اشتراك الجامعات العربية كلها في ايجاد المصطلح العلمي الملائم وفي استعماله معاً .

وقد وضع صيغة اقتراح مماثل منذ عام 1945 - العلامة الاستاذ مصطفى الشهابي ، رئيس المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، فطالب بتآزر مجمع اللغة العربية في القاهرة مع جامعة الدول العربية بالإضافة إلى اسهام رهط من العلماء والأدباء المقربين للأهمية الثقافية القومية ، فيتألف من هذه الجهات تنظيم يشبه (الجنة عليا) ذات ملامحات وطاقات مادية كافية ، تشرف على اخراج (معجم المصطلحات العلمية) ، يطبع ويوزع بمساعدة

الحياة تافهة وال الحاجة مقصورة على البدائيات ، انعدم الشعور بضرورة تعزيز الربط بين الحياة والمجتمع ، وتصبح عشرات الكلمات كافية للتداول بدليلاً عن الآلاف .

ففي معالجة مشكلات هذا المستوى الثقافي المتدهني ، لا يطرح السؤال : هل اللغة العربية ؟ مختلفة عن الركب العصري ؟ بل السؤال : هل أهل اللغة انفسهم هم المتخلفون ، فالعقلة ، وحلولها ليست في اللغة بل في القوم الذين يداولونها ، إنها تضيّع (اجتماعية ثقافية) في المقام الأول ويجب أن تعالجها ليس على أساس أنها تركيب حروف ، بل تكيف شروط اجتماعية إنسانية ، في مكان ما وزمان .

وعلى هذا فإن معالجة مشكلة اللغة العربية ، ليست بالحصر معالجة اكاديمية ينصرف إليها العلماء والاختصاصيون ، وناحتوا الانفاظ ، وناجروا اشكال الحروف ، وإن تكون الاكاديمية هنا عملية تتبّنة ، لابد منها في مرحلة الصياغة والتنظيم والتشبيق .

فإذا قلنا مثلاً ان افتتاح الحياة الاجتماعية على حاجات العصر ، وفرض التقدم وتباريات الفكر العالمي ، وأن تشجع الروح العلمية ، وتكريم أهل العلم ، وتسخير نشر الثقافة العامة ، من اسباب اعداد المجتمع وتأهيله ل التداول لغة غنية متوسعة ، نقول أيضاً ان البدء من القاعدة في مكافحة الامية ، على مستوى القراءة ، وعلى مستوى التفكير أيضاً - سبب رئيسي أيضاً من اسباب تكوين الوعي الاجتماعي الثقافي الذي يستطع أن يحتضن العلماء والمتقين ، وينهض بهم ، ويحمل على صعيده وجودهم .. ليعيشوا قادة معه ، لا عالة عليه .

فالقضية هنا حلقات متراقبة من تعلم الامي ، إلى تجهيز العالم الاكاديمي ، إلى فتح قابلية الجماهير لبذور الوعي الثقافي ، ولرفض شروط الحياة المتخلفة .

اما جوابي عن الاسئلة الثلاثة الأخيرة فخلافاته فيما يلي :

يبدو ان لا خلاف بين الباحثين المعنيين بالموضوع - وقد استنقت مجلة (المعرفة) في دمشق عدداً منهم - حول حقيقتين اساسيتين ، تتفق عنهما تفاصيل كبيرة :  
الأولى ان اللغة العربية صالحة للتدريس

والتنسيق الى الجهاز الاعلى المركزي ، المفروض انه هو الذي يعد العدة لوضع معجم المصطلحات ، فاذا تواصل مكتب تنسيق في الرياط ، مع آخر في دكار ، وآخر في سان باولو ، وآخر في دمشق ، مثلا للتقاهم حول وضع مصطلح ، وتم الاتفاق بأي سبب من اسباب تبادل الرأي ، كان من ذلك حصاد ثمين يوضع امام اللجنة العليا الناظمة ، واذا حصل خلاف رفع الامر الى المرجع اياه ، ليتوافر عليه باحثون ورجال اختصاص ، للحكم المرجع .

ثالثا - يجب اشراك الادباء جنبا الى جنب مع العلماء وفقاء اللغة وعلماء الاجتماع واصحاب الخبرات ، في تحرير المصطلح العلمي ، على نطاق الوحدات الصغيرة ، والوحدة الرئيسية العليا ، اذ من المفروغ منه ان ادباء كل امة ، قصاصين ، وشعراء ونقادا ، وياخدين اجتماعيين ، وصحافيين ، قد اسهموا اسهاما رائعا بوعي منهم ، او بلاوعي ، وهم يمارسون تجاربهم الفنية بلغة قومهم في تطوير اللغة وتيسيرها وطبعها ، ومنحها تلك الطواعية ، والعنفوية والليونة في استعمال الافتراض والمصطلحات ، انما الاديب الحق ، من احب لفته وفهمها ، وجبل ترابها بتراب ذاته ، وابدع بها غاية ما في طاقة اللغة من ابداع ، ولهذا يجب ان تكون آثار الادباء مراجع لدرس تطور اللغة واستعمال مصطلحاتها وتدالها .

رابعا - واخيرا على كلمة انيها يكثير من الصراحة لا تقول ان المنظمات الرئيسية والفرعية ، على نطاق الحكومات ، والجامعة العربية ، ومكاتب التنسيق ، وسواها ، ومن يوكل اليهم شأن من شؤون اللغة افرادا وهنئات ، يجب ان تخلو من احد اثنين من حاشري أنفسهم في معركة تطوير اللغة وهو ما : المتخالق والمترمت :

فالمتطرف بالثانية ، المغفور بها ، الذي بلغ به العلم حد انتلاع جذوره من مجتمعه وبيئته - واقل اوصافه أنه متخالق - قد يزعم ان العلم لغة انسانية عالمية ، لا وطن لها ولا ضرورة لاحتاطتها بطار قومي ، لأن العلم لاسته الشاملة ولأنسانيته المطلقة، واقل ما نجابه به هذا الدعي المتخالق ، هو التكيد بان تطور العلم ، وما احرزه من توسيع وتعمق ائما بلغ ما بلغه بمشاركة جميع الاقوام ، تديها وحديتها، وبلغاتها نفسها ، وكانت التي تعطي العلم تعطى لفتها معه ، وقد اعطى العرب ، نجوما تستبع في

الحكومات العربية وتهيا له اسباب الانتشار الواسع ويتجدد بين الحين والحين ، بالإضافة والتعديلات ، شأنه شأن اي عمل انسيكلوبيدي ، ويكون مرجعا يقتضي الالتزام به ، دون ان يغلق الباب امام نقاده وتعديلاته .

وفي مدى الحقيقة الثانية فئة اجماع ايضا على ضرورة اعداد الطالب العربي في مرحلتي التدريس الاعدادية ، والجامعية ، اعدادا لائقا لتلقى العلوم باحدى اللغات العالمية الانتشار ، وان هذا الاعداد الثاني للطالب العربي ، يجب ان يتوازى مع خط تدريس العلوم باللغة العربية ، ليتبادل الخطان باستمرار شرارات الاشتغال ، حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه اللغة العربية ، لغة علمية واسعة لا تنازع في ملاحمها ، تستطيع ان تأخذ كما تستطيع ان تعطي ائما يجيء هذا الامر بالتدريج ، وبالتطور الذي يبني اللغة ، وينمي طاقات المجتمع المتخلف معا ولا فضل ابدا بين اللغة والمجتمع في محاولات العلماء والمصلحين ، ساسة وقادة الفكر ورجال علم .

واما ملاحظاتي الخاصة حول ما اوجزت من آراء الباحثين ، فجماعها :

أولا : يجب الشروع على الفور في انشاء مجلات علمية اختصاصية ، باللغة العربية ، تدعم (الكتاب الجامعي) ، و(معجم المصطلحات) ايضا وتحجعل معاصرة العلم شانا يوميا من شؤون الكثرة من المتعلمين ، ولعل هذه الهيئة العليا المنوط بها امر اللغة العلمية - لجنة ام مجلس - تصلح ان تقوم ببنسها ، او توصي الحكومات لامدار هذه المجالات العلمية الميسرة امام جمهور المثقفين والمتعلمين بآدنى الاسعار ، ان الافراد والهيئات الخاصة كما هو معلوم لدينا عاجزون عن القيام بمثل هذه الاعمال التشرية ، ذات التكاليف الكبيرة ، والجمهور المحدود وسهم الدولة العربية في هذا المشروع سهم رئيسي كلي .

ثانيا - يجب ان تکثر وتنتعدد في نطاق الوطن العربي والهاجر ، والاوطن الآسيوية الانتررقية التي تعنى باللغة العربية وتحتفى بها ، مكاتب الجامعة العربية لتنسيق التعریب ، او مراسلون في بعض الاممکنة يحلون محل المكاتب ، على ان يكون التراسل بين هذه المكاتب مستمرا وفعلا ، بالمراسلة او بطريق عقد المؤتمرات وابعاد المؤنود هيئات واغرada حتى تصبح هذه المكاتب وسائل فعالة لنقل تيارات التعریب

والثقافي ، لكي تموت موتاً تلقائياً بسوء التغفية . وإن تكن سياسته اللغوية مقصورة على المصلحين ، فهو قائل حق يريد به باطلاً .

حتى في أحسن حالات الظن به والاشتقاق عليه ، فهو ليس أكثر من زوج مسكون يقتل زوجه حباً بها وغيره عليها .

واخيراً لتد آن اوان العمل ، بعد ان تجمع حول المسألة رأي عام متافق على نطاق عريسي ، يطالب بإنشاء مؤسسة عليا ، في مركزها وفروعها ، في مكاتبها ومراسليها ، لتنشيط حركة التعرّيب وتنسيقها ، وضبطها والتالييف فيها وأن للدول العربية أن تدرك خطورة هذه الدعوة لتعزيز رابطة الروابط القومية فيما بينها ، وتأكيد عزيمتها على الخروج فعلاً من نطاق المجتمعات المتخلفة .

الإنلاف اسماء لا يزال العالم حتى اليوم ينطق بها ، وسيظل ينطق إلى الأبد ، دون ضير ولا غضاضة .

اما من يجهل او يتتجاهل لغة قومه ، ليتقن لغة اجنبية ، يتذرع بها في ما يسميه ولاده لانسانية العلم ، ضد لغته وقومه ، فلا أقل من القول بأنه انسان ناقص العلم والانسانية معاً .

اما المتردّى الذي يطيب له أن يسخر من العقل والعصر والناس ، ليزعم ان ما من مصطلح علمي ، الا ويوجد لنظمه المناسب بالعربية ، او انه بالاصل عربي تصح .. لانه منقول عن كذا ، ومحرف عن كذا .. هذا المتردّى يجب ان يكون احد اثنين : اما جاهلا لا يحق له الانساب الى العلم ، وحسبه منه التعمّر والدعوة والحمية الباطلة ، او متواطناً على حشر اللغة العربية في نطاق حديدي ، لا تبعده الى العالم الخارجي الا راسنة في اغلال ثقيلة قاتلة ، والمبيت اللغة ثرا هو من اراد ان يفتر مضمنها اللغوبي

